لمحيي الدين محمد .

وما لا بد من ملاحظته هو التأليف بين فصول غير متجانسة وجمعها في كتاب واحد ، ممـــا يفقد افكار هذه الفصول تركيزها واهمية مواضيعها لدى القارىء . وكان الاولى لو جمع المؤلف هذه الفصول التي تدور حول الحرية في كتيب منفرد ، وتلك التي تدور حول اعمال فنية في كتاب آخر .

وكلمة اخيرة : لايسعني الا اكبار جهد المؤلف والشد على يده متمنيا له الاستمرار في هذا العطاء الخير ، دون خوف او تردد امـــام اية قيود او حواجز قد يضعها امامه غباء التاريخ .

يوسف الحوراني

قضايا كبيرة

« الطريق الدامية » ، بقلم احمد الخطيب . بيروت ، ١٩٦٣

« عناصر هدامة » ، بقلم يوسف الخطيب . المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٤

« حتى يبقى العشب اخضر » ، بقلم اديب نحوي . دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٤

القصة السياسية ظـــاهرة جديدة في الادب العربي ، نشأت مؤخرا كانعكاس لحياة البيئة التي وجد فيها الكتاب الشباب من ابناء هذا الجيل ، الذين قدر عليهم الحياة في جو متناقض من المبادىء ، وتجارة المبادىء ، في جو مشبوب بالذعر والخوف والتشرد والقلق ، في جو امتاز بالاضطهاد والجريمة ؛ لذلك لا يستطيـع الناقد لوم الكتاب على حشر السياسة في اطار القصة ، طالما ان السياسة تعيش في دمائهم ثانية بعد ثانية .

الا ان المشكلة تأتي بالطبـع من تصنع القصة السياسية ، ومن تحميل القصة ما لا طاقة بها عليه ، وتحويل المقال السياسي الى قصة قصيرة او طويلة تحمل في طياتها محاضرات لا اول لها ولا آخر في الوعظ السياسي .

قرأت في الشهر الماضي المجوعات القصصية لاحمد الخطيب و اديب نحوي و يوسف الخطيب . واعدت قراءة بعض القصص ، فوجدت نفسي وجها لوجه امام قضية كبرى ، من اخطر قضايا البلاد العربية ، قضية ، ان وجد لها الحـــل الملائم ، لتطورت بلادنا اجيالا الى الامام . وهـــذه القضية هي ، بالطبـع ، قضية الحرية ، التي حرمنا منها في عصر يحاول الانسان فيه الوصول الى الكواكب .

وقضية الحرية في بـــلادنا لا تحتاج الى نقاش سفسطائي ، ولا تتطلب التحديد والفلسفة ، ووضع مفاهيم غامضة لها ؛ لاننا — والحمد لله — محرومون منها كليا ، محرومون من الحرية المطلقة ومن الحرية النسبية ، محرومون من ابسط المبادىء التي يطلق عليها عادة كلمة الحرية .

لذلك فقد جالت بذهني بعد قراءة هذه الكتب الثلاثة ، الاسئلة التالية :

هل استطاع ادباؤنا التعبير عن قضية العصر ، في مؤلفاتهم هذه ، بواسطة القصة ؟ هـــل استطاع الادباء الوصول الى مستوى القضية ؟ هـــل تمكن ادبنا الحديث من التعبير عن قضايانا المعاصرة ؟

فكرت كثيرا قبل ان اجد الجواب . تخيلت بذهني المؤلفات الحديثة ، وتخيلت مفـاهيم الكتب التي بين يدي . ووجدت الجواب .

لقد كان ببساطة : كلا .

لا تزال قضيتنا بحـــاجة الى كاتبها ؛ لا يزال جيلنا بحـــاجة الى من يعبر عنه ، دون خوف ، ودون وجل . لا تزال بحاجة الى الـكاتب الرسول الذي يتحدث باسمنا جميعا عن حياتنا ، عن آلامنا ، عن حريتنا . الـكاتب الرسول ، الذي يحترم حرية الآخرين اكثر من احترامـــه لحريته . الـكاتب الضحية ، الذي يعيش اليوم في سبيل ابناء الغد . الـكاتب الصادق .

ان تحليل الكتب الثلاثة في اسطر معدودات

امر مستحيل في الواقـــع ، ولكن وجود اشياء مشتركة في هـذه الكتب يسمح بتقديمها فقط ضمن اطار القصة السياسية .

ان مفهوم القصة السياسية يجب ان يتضمن مفهوم القصة ، طالمـــا اننا مصرون على استعمالها كوسيلة من وسائل تعبيرنا النضالي . واذا بـــدأنا بدراسة كتاب احمد الخطيب ، «الطريق الدامية»، فاننا نجد المؤلف قد تمكن في الواقـــع من « فنية القصة » فأجاد التعبير ، واجاد اختيار الحادثة . القارىء يسير معه سيرا حسنا ، امـــام شخصيات متكاملة ، لها كيان ووجود ، يستطيـع المرء ان يلمسها ويراها ويشعر بها ، ويستطيع ان يشمها في بعض الاحيان . وذلـــك لان الـكاتب استخدم الاسلوب المعقول في كتابة القصة ، فأعطى الصور خلال حركة الابطال ، دون تكلف او تصنع . واستعمل « الفعل » عوضا عن استعمال الكلمات المجردة المطلقة التي استعملها اديب نحوي و يوسف الخطيب .

وقد نجح في الواقع بطريقة الاداء لانه لم يعتمد على اندفاع عواطفه وعلى تحمس مصطنع لا مبرر له في كتابة القصة .

لقد كان كل شيء واضحا في مخيلة احمد الخطيب، لذلك جاء كتابه جميلا معبرا ، فلم يحمل القصة مـا لا طاقة لها به .

اما قصص اديب نحوي ، فهي قصص حماسية من حيث الواقـــع ، يشم منها المرء رائحة التركيب المصطنع ، كما يلاحظ اعطاءه القصة اسلوبا لا تتحمله كثيرا. وهو ، بعكس احمـــد الخطيب ، يستعمل التجريد في كلماته ، بـــدون مناسبة ، ويستعمل « المعجزات » في حوادث قصصه في زمن لا وجود للمعجزات فيه .

لقد حمل اديب نحوي قصصه اكثر مما يجب من حيث المبالغة في الحوادث . ان القارىء لا يشعر بانهـــا واقعية اذ لا يستطيـع ان يلمس واقعيتها ، بالرغم من اعتماد الـكاتب على مصادر واقعية لقصصه، كما يبدو .

ان القارىء لا ينفعل ابدا بقصص اديب نحوي، لا يتألم للحادث . ان واجب الـكاتب ان يسيطر على القارىء ويوحي له عن طريق الحادثة بالاحساس الذي يريد .

اما كتاب يوسف الخطيب، « عناصر هدامة »، فان ابرز ما فيه ، لاول وهلة ، الصور الموقعة باسم « شموط » ؛ وهي صورة ناجحة الى حـد بعيد .

لقد حاول يوسف الخطيب خداع القارىء بحجم الكتاب ، فاستعمل الحرف الكبير جدا والفراغات لـكي يبدو الكتاب كبيرا . وهذا طبعا لا علاقة له بالنقد ، وانمـــا هو شيء شخصي ، لاني لا احب الحرف الكبير جـدا الذي يستعمل عـادة لكتب الصفوف الابتدائية في المدارس . ولا شك بـان المؤلف استطاع ايهام القارىء بحجم كتابه .

لقد اطلق يوسف الخطيب على مجموعته هذه اسم « لوحات قصصية » ؛ ولست ادري لمـاذا استعمل هذا التعبير ، وماذا يقصد به ، الا اني لم اكد اقرأ القصص حتى خيل الي انـــه لا يريد اطلاق اسم « قصص » على مجموعته . وذلـك لان اسلوبه بعيد جدا عن اسلوب القصة . والواقـع ان خير تعبير لنقد هذه المجموعة هو اقتباس قول المؤلف في اللوحة الاولى « التجربة والايمـان » (صفحة ١٢) : « كي لا اشت ثانية عن القصة ، التي لا اعـلم كيف اسوقها ، احاول البدء بها على هذا النحو » .

والواقـع ان شرود الـكاتب واستعماله للصفات الكثيرة في الجمـل، والتعابير التي تصلح للشعر اكثر من صلاحها للقصة ، قـد خففت كثيرا من قيمة القصص من الناحية الادبية .

ان للقصة القصيرة اصولها وقواعدها ، واسلوب القصة جزء منها ، لا يمكن لنا التساهل بـه . ان هذا لا يعني التقيد بالطبـع ؛ فالادب يحتاج دومـا الى تطور اذا اراد ان يظل حيا . ولكن التطور لا يعني ايضا اهمـال المفاهيم في سبيل اللاشيء ، في سبيل الخطأ .

ان البلاد العربية لا تزال بحـاجة الى من يعبر عنها في هذه الفترة . انها بحـاجة الى كتاب والى فلاسفة ، الى شعراء والى ادباء . انها بحـاجة الى هؤلاء حاجتها الى العمل الايجابي .

واننا في انتظار الـكاتب الرسول ، الـكاتب الضحية ، الـكاتب الصادق .

عماد تكريتي